الألوكة
www.alukah.net

حاشية

على رسالة ثلاثة أصول



طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري



الشـروحـات العـلـميّـة المؤصـلة (6)
متـون علم التـوحــيد (2)

حاشية
على رسالة ثلاثة أصول

كتبها:
أبو عبد العزيز طالب بن عمر بن حـيدرة الكـثيري
غفـر الله له ولوالديه وللمسـلمين
Ibnhydra@hotmail.com
www.talebkh.com

مقـدمة عن الرسالة

1- **اسمها:** ثلاثة أصول وأدلتها، وبعضهم يسميها الأصول الثلاثة، والأصول الثلاثة رسالة أخرى أصغر من هذه.

2- **موضوع الرسالة:** تناولت هذه الرسالة: ثلاثة أصول عظيمة من أصول الدين التي يُسأل عنها العبد في قبره: وهي معرفة الله تعالى، ومعرفة دينه الإسلام، ومعرفة رسوله محمد ﷺ، وقد قال المصنف رحمه الله تعالى في بعض رسائله:" رسالة الأصول الثلاثة قررت فيها توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، والولاء والبراء، وهي أصل الدين".

5- **أقسام الرسالة:** يمكن تقسيم الرسالة إلى ثلاثة أقسام رئيسة: 1- مقدمة: ضمت ثلاث مقدمات ابتدأت كل مقدمة بقول المصنف: اعلم.
2- صلب الرسالة: وفيها تناول المصنف الأصول الثلاثة بالشرح والبيان.
3- خاتمة: ضمت بعض القضايا العقدية، ومسألة الطاغوت وأقسامه.

د- **وصف الرسالة:** استخدم المصنف رحمه الله أسلوب التقرير بذكر المسائل ثم ذكر أدلتها بعكس ما فعل في كتاب التوحيد، وقد أطنب رحمه الله بذكر الأدلة، كما استخدم رحمه الله أسلوب السؤال والجواب في الأصل الأول؛ ليقرب المعاني للطالب المبتدئ، واستطرد المصنف في بعض المسائل التي يحُتاج إليها كمسألتي الهجرة والبعث، ومما يظهر أن المصنف كان يؤلف من حفظه؛ لذا جاءت كثير من النقولات بمعناها القريب أو بملخصها؛ كما سنبين إن شاء الله.

المقـدمات الثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم: افتتح المصنف رحمه الله رسالته بالبسملة اقتداء بكتاب الله، وبسنة أنبياء الله تعالى، فسليمان عليه السلام لما كتب رسالته إلى ملكة اليمن بدأها بقوله: {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} سورة النمل (30)، ورسولنا ﷺ لما أرسل رسالته إلى كسرى ابتدأها كذلك ببسم الله الرحمن الرحيم، كما رواه الشيخان.

بسم الله: أي أؤلف حال كوني مستعينًا به متبركًا بذكره، والله: لفظ الجلالة علم على ربنا سبحانه، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند لم يصح أنه قال: هو الذي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق.

الرحمن الرحيم: الرحمن اسم لله يدل على اتصافه بالرحمة ذاتًا؛ ودل على رحمة الله الواسعة بعباده أجمعين، والرحيم اسم لله يدل على اتصافه بالرحمة فعلاً، ودل على رحمة الله الواصلة لعباده المؤمنين.

- ثم بدأ المصنف رحمه الله تعالى رسالته بتقديم ثلاث مقدمات، وقد قيل: إنها ليست من وضع المصنف، بل هي من اجتهادات بعض طلبته، وإنما يبدأ كلام المصنف رحمه الله من قوله:(فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة)، والله أعلم.

المقدمة الأولى: فيما يجب على العبد معرفته لينجو من عذاب الله:

اعلم: أمر من العلم؛ أي كن متهيئًا ومتفهمًا لما يلقى إليك من العلوم، والعلم هو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع.
رحمك الله: أي غفر الله لك ما مضى ووفقك للخير وعصمك من الشر فيما بقى، ورفق المعلم بطلابه من الأخلاق الكفيلة بانتفاع الطالب بالعلم، قال تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} سورة التوبة(128).

أنه يجب علينا: الوجوب عند أهل العلم قسمان:
1- وجوب عيني: في كل علم يجب على العبد أن يتعلمه، والعلم الواجب على كل مكلف هو علم ما يحتاج إليه للعمل به، كعلم التوحيد والصلاة والصيام، وعلم الزكاة إن كان له مال، والحج إن كانت عنده قدرة، ونحو ذلك، قال الإمام أحمد رحمه الله: يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه، قيل له: مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله: صلاته وصيامه، ونحو ذلك.
2-وجوب كفائي: وهو كل علم يتعلمه العبد ليعلمه غيره، كعلم الفرائض ليقسم بين الناس، وعلم دماء النساء ليجيب أسئلتهن، وعلم البيوع إن لم تكن له تجارة، ونحوها.
- والوجوب هنا في كلام المصنف: وجوب عيني.
تعلم أربع مسائل: مسائل جمع مسألة، والمسألة من السؤال، وهو ما يبرهن عنه في العلم، فكل ما يُبحث عن دليله وبرهانه في العلم يسمى مسألة، وهذه أربع مسائل عملية لا بد للمكلف معرفتها؛ لأنها طريق الفلاح والسعادة الأبدية، وقد نبه على أهميتها العلامة ابن القيم في زاد المعاد3/10 وعدّها مراتب جهاد النفس، ونبه على أهميتها كذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري11/346.
الأولى: العلم: ثم عرفه بقوله: وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة: وسبق لنا تعريف آخر للعلم: حكم الذهن الجازم المطابق للواقع، فاكتفينا فيه بالجزم ولم نشترط معرفة الأدلة، وفي هذا التعريف الذي ذكره المصنف رحمه الله اشترط معرفة الأدلة؛ ليخرج المكلف بذلك عن حيز التقليد المذموم، قال تعالى عن أهل الشرك والضلالة: {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ} سورة الزخرف (22)، ومعرفة الله ونبيه ودين الإسلام هذا هو العلم الشرعي، وسيأتي معنا بيانه إن شاء الله في هذه الرسالة.
بالأدلة: الأدلة جمع دليل، والدليل ما يرشد إلى المطلوب، وقد يكون الدليل سمعيًا وهو ما ثبت بالكتاب والسنة، وقد يكون عقليًا وهو ما ثبت بالنظر والتأمل.
الثانية: العمل به: أي العمل بهذا العلم؛ بأداء حقوق الله تعالى، وحقوق نبيه ﷺ، وما شرعه الله لنا من دين الإسلام.



الثالثة: الدعوة إليه: أي الدعوة لما تعلمناه وعملنا به؛ فندعو الناس إلى معرفة وأداء حقوق الله تعالى، ومعرفة وأداء حقوق رسوله ﷺ، ومعرفة وأداء شرائع الإسلام، وسنبين طريق ذلك عند حديثنا عن هذه الأصول الثلاثة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تعريف الدعوة إلى الله كما في مجموع فتاويه 15/157: "والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، وبتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا".

الرابعة: الصبر على الأذى فيه: الصبر هو حبس النفس عن محبوباتها، وهو ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله، وصبر على ترك معصيته، وصبر على الأقدار المؤلمة، ومراد المصنف هنا الأول، وهو أعظم أنواع الصبر أن يصبر المكلف على طلب العلم والعمل به ودعوة الناس إليه، ويتحمل في سبيل ذلك ما تكره النفوس من بلاء وأذى، والأذى الذي يلاقيه المكلف في سبيل الحق أنواع: قد يكون أذى بدنيًا أو ماليًا أو نفسيًا.

والدليل: أي على هذه المسائل الأربعة: قوله تعالى: { بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ والعصر﴾: قسمٌ من الله تعالى بالدهر وهو الزمان كله، وقيل: قسمٌ بوقت العصر، إن الإنسان لفي خسر ﴿: أي كل إنسان في خسارة يوم القيامة

إلا من استثناهم الله تعالى، وهم: إلا الذين آمنوا: هذا دليل العلم؛ لأن الإيمان يستلزم العلم؛ فإيماننا بالله وبرسوله وبدينه يعظم إذا عظم علمنا بهذه الأصول الثلاثة، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} سورة فاطر(28) ، وعملوا الصالحات: هذا دليل وجوب العمل بالعلم؛ و العمل لا يكون صالحًا؛ أي من الصالحات إلا بشرطين: أن يكون خالصًا لله تعالى، وأن يكون العبد متبعًا فيه لرسوله ﷺ، كما قال تعالى: { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} سورة الكهف (110) ، وتواصوا بالحق: هذا دليل الدعوة إلى العلم الصحيح والعمل الصالح ، فالحـق هو كل ما وافـق الكـتاب والسنة وفهم السلف الصالح، وتواصوا بالصبر}: وهذا دليل المسألة الرابعة: أن يُصبر نفسه على الحق علمًا وعملاً ودعوة، وأن يوصي غيره بذلك، قال ابن قاسم رحمه الله: وفي هذه السورة الكريمة التنبيه على أن جنس الإنسان كله في خسار إلا من استثنى الله، وهو من كمّل قوته العلمية بالإيمان بالله، وقوته العملية بالطاعات، فهذا كماله في نفسه، ثم كمّل غيره بوصيته له بذلك وأمره به، وبملاك ذلك وهو الصبر، وهذا غاية الكمال.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: هو إمام السنة في زمانه المجدد الثاني للدين أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي رحمه الله (150- 204هـ): (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم): لاشتمالها على ما يجب على العبد في الإجمال، فهي كافية في بيان طريق النجاة والسلامة من الخسارة يوم القيامة، هذا هو مراده رحمه الله، قال العلامة ابن باز رحمه الله: "لكانت كافية في إلزامهم بالحق ، وقيامهم بما أوجب الله عليهم ، وترك ما



حرمه عليهم"، ومقولة الإمام الشافعي هذه نقلها شيخ الإسلام في الفتاوى والبقاعي في تفسيره، ورواها ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره 4/548 بلفظ: "لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم"، ومن هدي أصحاب النبي أن الرجلين كانا إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: والعصر إن الإنسان لفي خسر، ثم يسلم أحدهما على الآخر، راجع السلسلة الصحيحة 6/307.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: هو إمام المحدثين وشيخ المسندين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح (194- 256هـ): (باب العلم قبل القول والعمل): أي يجب على العبد أن يتعلم أولاً ثم يعمل ويدعو ثانيًا؛ لأن العلم مصحح للنية والنية مصححة للعمل، واستدل على ذلك: والدليل قوله تعالى: { فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك }: ووجه الدلالة من الآية على المراد أنه: فبدأ بالعلم قبل القول والعمل: فيتعلم أولاً، ثم يطلب الاستغفار قولاً بلسانه، وعملاً بتحقيق شروط التوبة وطلب أسباب المغفرة، وهذا النقل من المصنف من معنى كلام الإمام البخاري رحمهما الله.



المقدمة الثانية: في معرفة الله ورسوله وحقوقهما:

اعلم رحمك الله: كرر المصنف رحمه الله كلمة اعلم اقتداءً بكتاب الله تعالى، فكثيرًا ما جاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم في صدر ما يراد تقريره؛ كقوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} سورة محمد(19)، وقوله سبحانه: {وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} سورة الأنفال(40)، وقوله أيضًا: {اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} سورة المائدة(98)، وغيرها كثير.

أنه يجب على كل مسلم ومسلمة: الوجوب هنا وجوب عيني، والمسلم هو من أتى بالشهادتين وأتى بمقتضاهما ولم يأتِ بناقض، وكذلك المسلمة.

تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن: أي تعلم هذه المسائل الثلاث، وفي العبارة تقديم وتأخير، وهذه المسائل الثلاث مسائل اعتقادية مهمة، الأولى: في توحيد الربوبية، والثانية: في توحيد الألوهية، والثالثة: في الولاء والبراء:

الأولى: أن الله خلقنا: وخلق الله لنا يشمل الإيجاد والإعداد والإمداد، فأوجدنا الله من العدم، وأعدنا وأمدنا بالنعم، وقد دل على أن الله الخالق الدليل السمعي والعقلي ، فأما الدليل السـمعي فقول الله سبحانه: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }سـورة الصافات(96)، وأما الدليل العقلي فلأن كل حـادث لا بد له من محدث؛ كما قال تعالى: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} سورة الطور(35)، ولما كان الإنسان لم يخلق نفسه ولم يكن ليأتِ صدفة بدون موجد تعين أن يكون الخالق له هو الله تبارك وتعالى.

ورزقنا: ورزق الله يشمل رزق الأقوات بما يقيم أبداننا، ورزق الدلالات بما يقيم أحوالنا، وقد دل على أن الله الرازق الدليل السمعي والعقلي، فأما الدليل السمعي فقوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ} سورة سبأ(24)، وأما الدليل العقلي فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والله الذي خلق كل شيء، هو الذي خلق لنا الطعام والشراب؛ كما قال سبحانه: {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۝ لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ} سورة الواقعة (63-70)؛ فيُعلم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو رازقنا.

ولم يتركنا هملا: أي معطلين مهملين بلا أمر ولا نهي، وقد دل على ذلك الدليل السمعي والعقلي، فأما الدليل السمعي فقوله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} سورة المؤمنون(115)، وأما الدليل العقلي فلأن وجود بشرية تخُلق وترزق وترسل لها الرسل ويقاتلون على دين الله تعالى، ثم تموت ولا تبعث لا يليق بحكمة الله تعالى؛ كما قال تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ۝ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى۝



فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى} سورة القيامة (36-40).
بل أرسل إلينا رسولا: هو محمد ، والرسول من أُمر بتبليغ وحي الله تعالى، وقد دل على أن الله أرسل الرسل لسائر خلقه الدليل السمعي والعقلي، فأما الدليل السمعي فقوله تعالى: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ} سورة فاطر(24)، والدليل العقلي أن العباد يحتاجون الرسل ليعبدوا الله بما يحب ويرضى ولتقوم عليهم الحجة، كما قال تعالى: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } سورة النساء(165).
فمن أطاعه دخل الجنة: الطاعة هي موافقة المراد؛ فعلاً للمأمور وتركًا للمحظور، فمن وافق أمر الله وأمر رسوله وترك ما نهى عنه الله ورسوله دخل الجنة منزل المتقين، قال تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} سورة النساء (13).

ومن عصاه دخل النار: المعصية المخالفة لأمر الله ورسوله، والنار مثوى المجرمين، والدليل قوله تعالى: { إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدًا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلا }: أي ثقيلاً شديدًا، نقله الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما، والدليل على ذلك من السنة: قول النبي :" كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال:" من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"، رواه البخاري.
الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته: الشرك هو صرف العبادة لغير الله أيًا كان لا ملك مقرب: والمـلائكة هم أشرف العالم العلوي، ولا نبي مرسل: والأنبـياء هم أشرف العالم الأرضي ، ومع ذلك لا يحل أن يشركوا مع الله تعالى في عبادته، والدليل قوله تعالى: { وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا }: وحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم:"إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا.."، وهذا الدليل في النهي العام عن صرف العبادة لغير الله تعالى، والدليل الخاص على عدم جواز صرف العبادة للملائكة المقربين قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ} سورة سبأ (40-41)، والدليل الخاص على عدم جواز صرف العبادة للرسل قوله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} سورة آل عمران(79).
الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب: الموالاة هي المحبة والنصرة، وضدها المحادة

وهي المجانبة والمباغضة والمعاداة، وقضية الولاء للمؤمنين والبراء من المشركين أصلٌ عظيم من أصول الدين، وقد دل على وجوبه الدليل السمعي والعقلي، فأما الدليل السمعي فقوله تعالى: والدليل قوله تعالى: { لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه:أي أيدهم بنصر منه؛ بالحجج العلمية وبالغلبة القتالية، وسمى الله تعالى نصره روحًا؛ لأنه به أحيا قلوبهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون }: المفلحون هم من اتصفوا بالفلاح، والفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "وفيه سرٌ بديع؛ وهو أنهم لما أسخطوا الأقارب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه؛ بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم"، وأما الدليل العقلي فإنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئًا هو عدوٌ لمحبوبه.

- ولنعلم أن المولاة قسمان: القسم الأول: الموالاة الكبرى (ويقال: التولي والمظاهرة): وهي محبة الشرك وأهله، أو نصرة الكفار على أهل الإيمان قاصدًا ظهور الكفر على الإسلام، وهذه من الكفر المخرج من الملة، ودليل ذلك قوله تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} سورة المائدة(51)، والقسم الثاني: الموالاة الصغرى: محبة أهل الشرك لأجل الدنيا؛ كحب قرابة أو حب مال، وهي من كبائر الذنوب وليست من الكفر المخرج من الملة، والدليل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ} سورة الممتحنة(1)؛ فناداهم باسم الإيمان ونهاهم عن هذه الموالاة.

المقدمة الثالثـة: في معرفة الإسلام وأعظم واجباته:

اعلم أرشدك الله لطاعته: الرشد ضد الغي، وهو الاستقامة على طريق الحق، ومن عادة المصنف رحمه الله تعالى عند تقرير المسائل المهمة أن يدعو للطالب والقارئ؛ حرصًا منه على أن يكون هذا العلم الذي يتعلمه الطالب سبيلاً لرحمة الله وتوفيقه له.

أن الحنيفية: نسبة للحنف؛ وهو الميل عن الباطل والشرك إلى الحق والتوحيد، وهو ضد الجنف، والحنيف هو المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه، وقد عرفها بقوله: ملة إبراهيم: والملة من الملل أي المعاودة والتكرار، وهي اسم لكل ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة أنبيائه، وقد بيّنها بقوله: أن تعبد الله: العبادة في اللغة الذل، يقال: طريق معبدة أي مذللة، وللعبادة اصطلاحًا تعريفان: تعريف بالمعنى العام: وهي التذلل لله محبة وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه، وهذا تعريف يعم العبادة التي هي فعل الأوامر وترك النواهي، وتعريفها بالمعنى الخاص: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال

الظاهرة والباطنة، وتنقسم العبادة إلى قسمين: عبادة كونية: وهي شاملة لجميع الخلائق؛ فكل مخلوق عبد لله خاضع لأمره الكوني، قال تعالى: {إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} سورة مريم(93)، وعبادة شرعية: وهي مقتصرة على من أطاع أمر الله الشرعي واتبع رسله، قال تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } سورة العنكبوت(56).

مخلصًا له الدين: الإخلاص في اللغة التنقية، واصطلاحًا هو إفراد الله تعالى بالوجهة والقصد، فينقي عمله من كل شائبة شرك سواء أكان أكبر أو أصغر، وهو شرط قبول العمل وبتحقيقه تتضاعف الأجور، وبذلك أمر الله جميع الناس: أي بالحنيفية؛ وهي إخلاص العبادة لله تعالى، قال تعالى: {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} سورة البقرة(130)، وخلقهم لها؛ كما قال تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }: فالمقصد من خلق الناس أمران: الأول: معرفة الله تعالى بربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} سورة الطلاق(12)، والثاني: توحيده سبحانه في عبادته، كما في الآية التي ذكرها المصنف، ومعنى يعبدون يوحدون: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل موضع في القرآن اعبدوا الله فمعناه وحدوا الله.

وأعظم ما أمر الله به التوحيد: ويدل على ذلك أن الله تعالى خلق عباده ليفردوه بالعبادة، وبذلك دعا كل رسول قومه، فقال:{ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} سورة الأعراف(59)، وأرسل رسول الله ﷺ صحابته بذلك، قال النبي ﷺ لمعاذ ﷺ حين بعثه لليمن: " ليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله "، ثم عرّف التوحيد بقوله: وهو إفراد الله بالعبادة: والتوحيد في اللغة الإفراد، وله اصطلاحًا تعريفان: تعريف بالمعنى العام: وهو إفراد الله تعالى بما يختص به من ربوبية كالخلق والرزق، ويقال: توحيد الله بأفعاله، و بما يختص به من ألوهية كعبادته سبحانه، ويقال: توحيد الله بأفعالنا، وبما يختص به من أسمائه كالرحمن ورب العالمين، وبما يختص به من صفاته كالقدرة الشاملة والعلم المحيط، ويقال: توحيد الله بما ثبت له من الأسماء والصفات، وتعريف بالمعنى الخاص؛ أي بما يختص بتوحيد الألوهية، كما عرفه المصنف رحمه الله: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

وأعظم ما نهى عنه الشرك: والدليل على ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} سورة لقمان(13)، ومن السنة حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال:" أن تجعل لله ندًا وهو خلقك" متفق عليه، والشرك في اللغة من المشاركة، واصطلاحًا: له تعريفان: تعريف بالمعنى العام: وهو إشراك أحدٍ مع الله تعالى فيما هو من خصائص الله، وتعريف بالمعنى الخاص؛ أي بما يختص بشرك الألوهية، كما عرفه المصنف

رحمه الله: وهو دعوة غيره معه: وهذا شرك تشريك، فإن دعا غيره دونه فهو شرك تعطيل، والمراد بالدعوة هنا: دعاء المسألة: فيشمل سائر أنواع الطلب، ودعاء العبادة: فيشمل سائر أنواع العبادات، والدليل قوله تعالى: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا }: هذه آية الحقوق العشرة من سورة النساء، وأول حق ذكرته هذه الآية الأمر بعبادة الله تعالى، والنهي عن الإشراك به، فتحقق من جانبي الأمر والنهي: الإثبات والنفي وإفراد الله تعالى بالعبادة.

الأصــل الأول

فإذا قيل لك : استخدم المصنف رحمه الله أسلوب السؤال والجواب لتوضيح الأصل الأول، وهذا الأسلوب أقرب للفهم وأسهل للتعلم.
ما الأصول الثلاثة: الأصول جمع أصل، والأصل هو ما يُبنى عليه غيره، والمراد بأصول الدين قواعده وأسسه التي ينبني عليها، التي يجب على الإنسان معرفتها؟: دل على هذا الوجوب حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في سؤال العبد في قبره، وفيه أنه يُسأل عن ربه ودينه وعن نبيه محمد ﷺ، والحديث رواه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم، وجاء عند الإمام مسلم من حديث العباس رضي الله عنه قال النبي ﷺ:" ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً ".
فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم: هذه الأصول الثلاثة على الإجمال، وسيبدأ المصنف بتفصيلها وبيانها.
فإذا قيل لك: من ربك؟: الرب بتفسير المطابقة هو السيد المالك المتصرف، والرب بتفسير اللازم هو المعبود، قال تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} سورة التوبة(31)، ومعنى أربابا أي معبودين، كما فهم ذلك عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله إنا لم نتخذهم أربابًا، قال:" بلى أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله لكم فتحرمونه؟" فقلت: بلى، فقال: "تلك عبادتهم"، ومقصود المصنف بقوله: من ربك؟ أي من معبودك؟ لأن الفتنة إنما وقعت في توحيد الألوهية، وعليها سيكون السؤال في القبر.
فقل: ربي الله الذي رباني: أي أصلحني وأمدني وهيأ لي، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: التربية هي إنشاء الشيء حالاً فحال إلى الكمال، وربى جميع العالمين بنعمه: فسر المصنف الرب بالتربية؛ كما في قوله تعالى: {قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ۝ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} سورة طـه(49-50)، والتربية تربيتان: تربية عامة لجميع الخلق بخلقهم ورزقهم والإنعام عليهم، فالرب يطلق على المالك والمتصرف والقائم بالأمر، وربوبية الله على خلقه قيامه سبحانه بسـائر شـئونهم، وهو القـائم على كل نفس بما كسبت، الحي القيوم سبحانه، وتربية خاصة بالإيمان واليقين وتزكية النفوس، وحقيقتها التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر؛ لذا كان أكثر دعاء الأنبياء في القرآن سؤال الله باسمه الرب، وهو معبودي ليس لي معبود سواه: وهذا

تفسير باللازم، فإن توحيد الله في ربوبيته يقتضي توحيده في ألوهيته واستحقاقه للعبادة وحده، والدليل قوله تعالى: { الحمد لله رب العالمين }: الحمد هو الإخبار عن صفات المحمود على وجه المحبة والتعظيم، فإن خلا عن المحبة والتعظيم فهو مدح لا حمد، ويحمد الله على أفعاله ونعمه، كما يحمد على جليل أسمائه وكريم صفاته سبحانه، كما في الفاتحة:(الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين)، واللام في (لله) للاستحقاق، فالله هو المستحق أن يحمده العالمون، والعالمون مفرد عالم، وكل من سوى الله عالم: لأنهم علمٌ على خالقهم ورازقهم ومدبرهم سبحانه، فالمربوبون هم العالم، وأنا واحد من ذلك العالم: فيجب عليّ أن أعبده وحده وأفرده بالعبادة. فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟: أي استدللت على ربوبيته وألوهيته، فقل: بآياته ومخلوقاته: الآية العلامة الدالة على المدلول، وكل خلق في الوجود دال على عظمة الله تعالى، قال الشاعر: وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه الواحد، وآيات الله ثلاثة أنواع: آيات منزلة؛ من الوحي المنزل على الأنبـياء، وآيات آفقـية؛ كالشمس والقمر ، وآيات نفسية؛ وهي ما يجده الإنسان في نفسه من فطرة تدله على ربه، قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} سورة فصلت(53)، ومخلوقات الله تعالى دلت على وجود الخالق العظيم، المحكم القادر على كل شيء، المدبر لشئون سائر المخلوقات، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر: هذه آيات متغيرة على مدار اليوم والشهر والسنة، وإحكام خلقها وتغيرها في تناسق بديع وإحكام متقن تدل على وجود اللطيف الخبير، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما: فالتفكر في السموات السبع والأرض السبع: باتساع أجرامها، وما في السماء من نجوم وأفلاك وملائكة، وما في الأرض من بحار وجبال وسهول وبشر، وما بينهما، وما يحصل لهما يوم القيامة دليلٌ على أحدية الله في ربوبيته وألوهيته، والدليل قوله تعالى: { ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون }: ووجه الدلالة أن في خلق هذه الآيات دلالات ظاهرة على وجوب السجود والخضوع لخالقهن، وعدم السجود والخضوع لغيره سبحانه، وقوله تعالى: { إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا: أي يغطي الليل النهار ويعقبه سريعًا، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره: أي مذللات بتدبيره سبحانه، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين }: وفي هذه الآية أربعة أدلة كريمة على إثبات العبودية لله وحده: الأول: خلق السموات والأرض والعرش، والثاني: تعاقب الليل والنهار في انتظام دقيق، والثالث: جريان الشمس والقمر والنجوم على اتساق بديع، والرابع: كثرة خيره وبركاته وأفضاله على عباده سبحانه؛ كل هذه الأدلة وغيرها تؤكد أن له سبحانه التفرد بالأمر والحكم كما أنه سبحانه تفرد بالخلق والتدبير (ألا له الخلق والأمر)، وهذه عادة القرآن فكثيرًا ما يقرر ما

جحدوه من توحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية؛ فإن توحيد الربوبية هو الدليل الأوضح والبرهان الأعظم على توحيد الألوهية، والرب هو المعبود: المعبود أي المألوه المستحق أن يُعبد سبحانه دون ما سواه، والدليل قوله تعالى: { يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقـكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون }: فاستدل على وجوب عبادته وحده وترك عبادة غيره: بخلقه سبحانه للناس المتقدمين والمتأخرين، وخلقه للأرض وبسطها، وخلقه للسماء ورفعها، ورزقه للناس المتقدمين والمتأخرين ماءً يشربونه وثمراتٍ يأكلونها، وهذا أول أمر يمر عليك في المصحف؛ كما أن أول فعل جاء في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} سورة الفاتحة(5)، وهذا يفيدك عظم شأن التوحيد وأنه أول واجب على العبيد، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الحافظ، صاحب تفسير ابن كثير والبداية والنهاية، (701- 774هـ)، (الخالق لهذه الأشياء: أي لما سبق ذكره، وأصل الخلق إيجاد المعدوم على تقدير واستواء، وإبداعه من غير أصل سابق ولا ابتداء متقدم، قال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} سورة البقرة(117)، وقال: {فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} سورة الشورى(11)، هو المستحق للعبادة): وهذه نقلها المصنف بمعناها، وكأنه كان يكتب من حفظه رحمه الله، وعبارة ابن كثير في تفسيره1/88: أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم؛ فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره، وأنواع العبادة: أي أصنافها وصورها، والعبادة أنواع ، قد تكون قلـبية أو قولية أو فعـلية أو مالية أو تركية أو مركبة، وتأتينا أمثلتها في الأصل الثاني، التي أمر الله بها: وهذا أحد ضوابط العبادة، فالعبادة كل ما أمر الله به، والتعريف الجامع لها ما سبق نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في رسالته "العبودية": هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وتعرف بأمور: (1) أن يأمر الله بها أو رسوله . (2) أن يُنص على أن الله يحبها. (3) أن يثني عليها الله أو رسوله أو على من فعلها. (4) أن يعلق عليها الإيمان أو يرتب عليها الإثابة أو الإجابة، وتأتينا أمثلة هذه الضوابط قريبًا، مثل الإسلام والإيمان والإحسان: بدأ المصنف رحمه الله قبل ذكر العبادات بذكر أصولها التي ترجع إليها، وأصول الدين ثلاثة، وإليها تنقسم العبادات: الإسلام ويشمل العبادات الظاهرة، والإيمان ويشمل العبادات الباطنة، والإحسان ويشمل إتقان العبادات الظاهرة والباطنة، هذه مراتب الدين، وقد جاء الثناء عليها وعلى أهلها؛ فتكون هذه المراتب مما يحبه الله ومما أمر به، ومنه: أي من أنواع العبادة، الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر: هذه العبادات أكثرها قلبية وبعضها قولية وبعضها فعلية، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها: ذكرها أولاً مجملة، ثم فصلها وبين أدلتها بعد ذلك، كلها لله تعالى: فلا تصرف



لغيره أيًا كان، والدليل قوله تعالى: { وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا }: والمساجد جمع مسجد، وهي بيوت الله تعالى التي أمر أن ترفع لإقامة عبادته؛ فلا يحل لأحد أن يعبد فيها غير الله تعالى، وأحدًا نكرة في سياق النفي فتعم سائر المدعوين من دون الله، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشرك كافر: الكافر إما أن يكون عابدًا لله ولغيره فهذا كافر مشرك، وإما أن يكون عابدًا لغير الله دون أن يعبد الله تعالى فهو كافر جاحد، والدليل قوله تعالى: { ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون }: فحكمت الآية على من دعا غير الله معه بثلاثة أحكام: أنه لا برهان له ولا دليل عنده على شركه، وأنه حسابه وعقابه يوم القيامة يوفيه إياه ربُه، وأنه من الكافرين الذين لا يفلحون أبدًا، وضابط الشرك صرف ما هو من خصائص الله تعالى لغيره، ويعرف ما يختص الله به بأمور: (1) النهي عن صرفه لغير الله. (2) ذم من صرفه لغير الله تعالى. (3) حصره في الله تعالى بأحد أساليب الحصر بإنما: تقول إنما الدعاء لله، أو النفي والإثبات: تقول لا دعاء إلا لله، أو تقديم ما حقه التأخير: تقول أدعو الله؛ فإن قدمت ما تأخر فقلت: الله أدعو دل على حصر الدعاء لله. (4) الدليل العام: فكل عبادة هي مختصة لله، وصرفها لغير الله شرك.

- ثم بدأ المصنف رحمه الله تعالى ببيان الأدلة التفصيلية على ما سبق أن أجمله من العبادات، فبدأ بالدعاء، والدعاء قسمان: الأول: دعاء مسألة والمراد به طلب الحاجات من جلب نفع أو دفع ضر بلسان المقال، والثاني: دعاء عبادة؛ ويشمل كل عبادة يتقرب بها العبد لله؛ إذ أن العابد داعٍ لله بلسان حاله سائله المغفرة والقبول، والدليل العام على أن الدعاء عبادة: أن الله أمر به فقال تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} سورة الأعراف(55)، وأثنى على الداعين، فقال تعالى عن أنبيائه: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} سورة الأنبياء(90)، ورتب عليه الإجابة، فقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} سورة غافر (60)، والدليل الخاص على أن الدعاء عبادة: أن رسول الله ﷺ سماه عبادة، فقال:" الدعاء هو العبادة"، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم بسند صحيح من حديث النعـمان بن بشير رضي الله عنه، وفي الحديث: (الدعاء مخ العبادة): ومخ الشيء خالصه، وهو حديث أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه بسند ضعيف؛ فيه عبد الله بن لهيعة (وهو ضعيف)، والدليل الخاص من القرآن على أن الدعاء عبادة: أن الله تعالى سماه عبادة، والدليل قوله تعالى: {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين }: فسماه تعالى عبادة في قوله تعالى: (عن عبادتي)، والدليل العام على أن صرف الدعاء لغير الله شرك: أن الله تعالى نهى عن صرفه لغيره، فقال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} سورة الجن(18)، وذم من صرفه لغيره، فقال تعالى: {وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الْكَافِرُونَ} سورة المؤمنون(117)، وأن الله تعالى خص به نفسه، فقال سبحانه:{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} سورة غافر(65)، والدليل الخاص على أن صرف الدعاء لغير الله شرك: أن الله سماه شركًا، فقال تعالى: {إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } سورة فاطر(14).

ودليل الخوف: قال ابن عثيمين رحمه الله: الخوف هو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى، والدليل على أن الخوف عبادة: أن الله تعالى أمر به وعلق عليه الإيمان، فقال سبحانه: {وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} سورة آل عمران(175)، والدليل على أن صرفه لغير الله شرك: أن الله تعالى نهى عن صرفه لغيره كما في: قوله تعالى: { فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين }، ودليل الرجاء: والرجاء هو طمع الإنسان في أمر قريب، ولا يكون الرجاء صحيحًا إلا بثلاثة أمور: محبة ما يرجوه، وخوفه من فواته، وسعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وإلا فهو غرور وتمنٍ مذموم ، والدليل على أن الرجاء عبادة: أن الله تعالى أثنى على من فعله كما في: قوله تعالى: { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا } ، والدليل على أن صرفه لغير الله شرك: أن الله تعالى سمى صرفه لغيره شركًا، فقال سبحانه: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} سورة الكهف(110)، ودليل التوكل: التوكل هو الاعتماد على الله تعالى في جلب المطلوب وزوال المكروه مع بذل الأسباب المشروعة، والتوكل عبادة قلبية تجمع شيئين: تفويض الأمر إلى الله وعدم رؤية السبب بعد فعله، والدليل على أن التوكل عبادة: أن الله تعالى أمر به وعلق عليه الإيمان والكفاية؛ كما في: قوله تعالى: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}، وقال: { ومن يتوكل على الله فهو حسبه }؛ أي كافيه، والدليل على أن صرفه لغير الله شرك: أن الله تعالى خص به نفسه كما في قوله تعالى: {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} سورة المائدة(23)، فقدم الجار ولفظ الجلالة ليدل على الحصر والاختصاص، ودليل الرغبة: الرغبة هي محبة الوصول إلى الشيء المحبوب؛ ومنها الابتهال والتضرع، والرغبة السعة في الشيء، فصلاة الرغبة ودعاء الرغبة ما كان بكثرة وإطالة، والرهبة: الرهبة هي الخوف المثمر للهرب؛ فهي خوف مقرون بعمل، والرغبة هي الصدق في الرجاء والرهبة هي الصدق في الخوف، والخشوع: قال ابن عثيمين رحمه الله: الخشوع هو الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي، والخشوع يكون في القلب والبصر والصوت، والدليل على أنها الرغبة والرهبة والخشوع عبادات أن الله تعالى أثنى على من فعلها، وجاء في سياق ثنائه على أنبيائه قوله تعالى: { إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين } ، وصرفها لغير الله شرك؛ دل على ذلك أن الله تعالى حصر الرغبة إليه، فقال تعالى: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} سورة الشرح(8)؛ فقدم ما حقه التأخير، وحصر الرهبة فيه، فقال سبحانه: {وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ

فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}سورة النحل (51)، وحصر الخشوع له فقال سبحانه: {وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} سورة الأنبياء (90)، ودليل الخشية: الخشية هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء } سورة فاطر(28)، والدليل على أن الخشية عبادة وأن صرفها لغير الله تعالى شرك: قوله تعالى: {فلا تخشوهم واخشوني.. الآية }: فأمر بها، ونهى عن صرفها لغيره سبحانه، ودليل الإنابة: الإنابة هي رجوع القلب عمن سوى الله وتعلق القلب بالله وحده، والإنابة هي الرجوع إلى الله في الملمات والمكروهات، وأما الرغبة فهي الرجوع إلى الله في المحبوبات، والدليل على أن الإنابة عبادة أن الله أمر بها كما في قوله تعالى: { وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له.. الآية}، والدليل على أن صرفها لغير الله شرك قوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} سورة الشورى(10)؛ فقدم ما حقه التأخير ليدل على اختصاص الله تعالى بالإنابة، ودليل الاستعانة: الاستعانة طلب العون، والدليل على أن الاستعانة عبادة وأن صرفها لغير الله شرك: أن الله تعالى ذكرها في سياق مدح فيه أهلها، وخصه نفسه بها، في قوله تعالى: { إياك نعبد وإياك نستعين }: فتقديم إياك وحقها التأخير دليل الحصر، وهذه الآية إليها يرجع الدين كله، وهي من كلمتين: الأولى: تبرؤ من الشرك، والثانية: تبرؤ من الحول والقوة، وفي الحديث: (إذا استعنت فاستعن بالله): فعُلقت الاستعانة بالله وحده، ودليل الاستعاذة: الاستعاذة طلب العوذ، والإعاذة هي الحماية من المكروه، فحقيقة الاستعاذة الالتجاء والاعتصام والتحرز والهرب من الشيء تخافه إلى من يعصمك منه، والدليل على أن الاستعاذة عبادة: أن الله تعالى أمر بها كما في قوله تعالى: { قل أعوذ برب الفلق } وقوله تعالى: { قل أعوذ برب الناس }، والدليل أن صرفها لغير الله شرك: قوله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} سورة الجن(6)، في سياق ذم من صرفها لغير الله ، ودليل الاستغاثة: الاستغاثة هي طلب الإغاثة؛ أي الإنقاذ من الشدة والهلاك، والاستعاذة تكون قبل وقوع المكروه والاستغاثة تكون بعده؛ لذا قيل: الاستعاذة دفعٌ والاستغاثة رفعٌ، والدليل على أن الاستغاثة عبادة قوله تعالى: { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم.. الآية }: فجاءت الآية في سياق الثناء على الصحابة رضوان الله عليهم، وعلق عليها سبحانه الاستجابة، والدليل على أن صرفها لغير الله شرك: ما رواه الطبراني بسند فيه مقال:" إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله"، فحصرت الاستغاثة في الله، ودليل الذبح: الذبح هو إزهاق الروح وإراقة الدم بقطع الوديجين، والذبح عبادة في إهلاله بذكر الله تعالى، وعبادة إذا قُصد به القربة، والدليل على أن الذبح عبادة قوله تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} سورة الكوثر(2)؛ فأمر به فيكون عبادة، والدليل على أن صرفه لغير الله شرك: قوله تعالى: { قل إن صلاتي ونسكي: أي ذبحي للقرابين؛ كما هو قول جمهور المفسرين، ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له.. الآية }، فنهى سبحانه عن صرف الذبح لغيره، ومن السنة: (لعن الله من ذبح لغير الله)؛

فذم سبحانه من صرف الذبح لغيره، ودليل النذر: النذر هو إلزام المكلف نفسه بما لا يجب عليه شرعًا تعظيمًا للمنذور، والنذر قسمان: الأول: النذر المعلق على شرط؛ كأن يقول: إن شفى الله مريضي تصدقت بعشرة آلاف، وهذا النذر مكروه، والثاني: النذر المطلق بلا شرط، كأن يقول: لله عليّ أن أصوم ثلاثة أيام، وهو نذرٌ محمود، والدليل على ذلك: قوله تعالى: { يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرًا }: أي منتشرًا فاشيًا عامًا بين الناس، فأثنى على من وفى بنـذره ،وقال تعالى:{ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} سـورة البقرة (270)، فعلق تعالى عليه علمه وجزاءه، وقرنه بالنفقة فدل على أنه يحبه، وقال تعالى: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} سورة آل عمران(35)، فأثنى على من فعله، وقال: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا} سورة مريم(26)، فأمر به، والدليل على أن صرفه لغير الله شرك: حديث:" إن النذر نذران: فما كان لله فكفارته الوفاء به، وما كان للشيطان فلا وفاء له، وعليه كفارة يمين"، رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحديث: ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عند أبي داود قال النبي ﷺ:" لا وفاء بنذر في معصية الله"، فنهى عن صرفه في معصية، وأعظم المعصية الشرك.



الأصــل الثـاني

معرفة دين: الدين في اللغة يطلق على الملك والعمل والخضوع والجزاء، واصطلاحًا: ما شرعه الله من الأحكام على لسان رسله، الإسلام بالأدلة: الإسلام من التسليم أي الانقياد والخضوع، وقيل من المسالمة وهي ترك المنازعة، والإسلام له معنيان، الأول: المعنى العام: وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله: وهو بهذا المعنى دين جميع الرسل، قال الله تعالى عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} سورة البقرة(132)، وعن يوسف عليه السلام: {أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} سورة يوسف(101)، وغيرهم من رسل الله وأنبيائه، وهذا المعنى يشمل ثلاثة أمور: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، فالاستسلام هو الإذعان؛ فيذعن لله بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأما الانقياد فحقيقته تسليم النفس للغير ليأخذه حيث أراد؛ فإذا أسلم نفسه لأمر الله وتوجه معه حيث توجه فقد انقاد لشرع الله، والبراءة في اللغة الخلوص والترك، واصطلاحًا: الابتعاد عن الشرك والمشركين اعتقادًا وعملاً وسكنًا، وتحصل البراءة من الشرك بثلاثة أمور: الأول: براءة قلبية ببغض دين الشرك وكراهيته، وهذه لا تسقط عن أحد، فقد روى مسلم عن مالك الأشجعي عن أبيه أن النبي قال:" من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل"، والثاني: براءة قولية: بتكفيرهم والتحذير من ضلالاتهم والتصريح ببغضهم وبطلان دينهم، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} سورة الكافرون (1-2)، والثالث: براءة فعلية: بقتالهم وتكسير معبوداتهم الباطلة، والدليل قوله تعالي: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} سورة التوبة(73)، وهذه المرتبة والتي قبلها معلقة بحسب استطاعة العبد، والبراءة تتجه إلى أمور: إلى الشرك وإلى المشرك وإلى دار الشرك وإلى كل خصلة ونسبة من النسب إليها، وأما المعنى الخاص للإسلام: فهو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام، وهذا هو الإسلام الذي جاء به نبينا محمد ، ويأتينا بيانه قريبًا، وهو: أي الدين، ثلاث مراتب: وكل مرتبة أخص من التي قبلها ، الإسلام والإيمان والإحسان: سبق معنا أن الإسلام يشمل العبادات الظاهرة ، والإيمان يشمل العبادات الباطنة، والإحسان هو إيقاع العمل على أكمل وجوهه في الظاهر والباطن؛ نتيجة استحضار الإخلاص لله والمتابعـة لرسوله ، فالإحسان يشمل الإيمان والإسلام، والإيمان يشمل الإسلام ، وليس كل مسلم مؤمن محسن، وإن كان لابد لكل مسلم من إيمان يُصحح إسلامه، قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين 2/192 عند قوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} سورة النساء(65):"فأقسم أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله، وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، وحتى يسلموا لحكمه تسليمًا، وهذا حقيقة الرضى بحكمه، فالتحكيم: في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج: في مقام الإيمان، والتسليم: في مقام الإحسان"، وكل مرتبة لها أركان: الركن لغةً هو جانب الشيء الأقوى، وفي الاصطلاح هو جزء من الشيء تتوقف صحته عليه؛ كالبيت له أركان هي جزء منه وتتوقف سلامة البيت على بقائها سليمة، ثم بدأ في تفصيل ما أجمله، فقال: فأركان **الإسلام** خمسة: دل عليها حديث ابن عمر رضي الله عنهما في المتفق عليه: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان"، وتفصيل هذه الأركان كما يلي: الركن الأول من أركان الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله: وهي ركن واحد وإن كانت من شقين؛ لأن صحة العبادات تنبني على تحقيقهما معًا، والشهادة في اللغة تدور على معانٍ أشهرها: الحكم والإخبار، فالشهادة هي الإخبار بالشيء عن علم به مع اعتقاد صحته وثبوته، ولا بد في الشهادة من أمور: الأول: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به، والثاني: تكلمه بذلك، والثالث: إعلامه غيره بما شهد به، والرابع: إلزامه بمضمونها، والركن الثاني: وإقام الصلاة: الصلاة لغة الدعاء، وهي التعبد لله تعالى بأفعال وأقوال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، وقد فرضت الصلاة ليلة الإسراء بمكة، ومن جحد وجوبها كفر إجماعًا، ومن تركها تكاسلاً كفر على القول الصحيح من أقوال أهل العلم، والصلاة عبادة بدنية يحصل بها خضوع العبد لربه، وهي الصلة بين العبد وربه، وفيها انشراح الصدر وقرة العين، والانتهاء عن الفحشاء والمنكر، والركن الثالث: وإيتاء الزكاة: والزكاة في اللغة النماء، واصطلاحًا إخراج نصيب مقدر من مال مخصوص يصرف لطائفة معينة، وفرضت الزكاة مجملة في مكة، وبيّنت مقاديرها في المدينة في السنة الثانية، ومن جحد وجوبها كفر إجماعًا، ومن تركها بخلاً لم يكفر على قول جماهير أهل العلم، والزكاة عبادة مالية تحصل بها محبة الله لعبده، ونفع المسلمين، وتطهير النفس والمال، والركن الرابع: وصوم رمضان: والصوم في اللغة: الإمساك، وهو التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وقد فرض الصيام في السنة الثانية، ومن جحد وجوبه كفر، والصيام عبادة تركية تُكسر بها النفس، وتحصل بها تقوى الله، وتربي في النفس الإرادة، وتعودها على الصبر والتحمل، والركن الخامس: وحج بيت الله الحرام: والحج في اللغة القصد، وهو التعبد لله تعالى بقصد البيت الحرام لأداء مناسك الحج، وفرض الحج في السنة التاسعة على الصحيح، وحج النبي في السنة العاشرة، ومن جحد وجوبه كفر، ومن تركه كسلاً فهو كافر كفرًا أصغر؛ لقول الله تعالى: { وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } سورة آل عمران(97)، والحج عبادة بدنية ومالية وتركية يحصل بها ظهور شعائر الدين ووحدة

الأمة وتزكية النفوس، وأما الأدلة التفصيلية التي وعد بها المصنف في قوله: (معرفة دين الإسلام بالأدلة)، فمنها ما يلي: فدليل الشـهادة قوله تعالى : { شـهد الله أنه لا إله إلا هو والمـلائكة وأولوا العـلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم }: فأشهد سبحانه نفسه، ثم ثنى بملائكة قدسه، ثم ثلث بأولى العلم من خلقه، فهي أعظم شهادة من أعظم شاهد لأعظم مشهود، ومعناها لا معبود بحق إلا الله: وهي مكونة من ركنين ثبت بهما إفراد الله تعالى بالعبادة، الركن الأول: النفي في قولك: { لا إله }: نافيًا جميع ما يعبد من دون الله، والركن الثاني: الإثبات في قولك: { إلا الله} مثبتًا العبادة لله وحده: فهي تقتضي نفي الشريك عن الله تعالى في كل ما هو من خصائصه سبحانه، فـ لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه؛ فاستدل المصنف بما تقرر في النفوس من توحيد الربوبية على إثبات توحيد الألوهية، وقد دل على تفسيرها بقولنا: لا معبود بحق إلا الله تفسير المطابقة لهذه الكلمة من القرآن الكريم، وإليك البيان: فأما تفسير الإله بالمعبود، فدلت عليه آيات كثيرة، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: {وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني: أي برأني وابتدأ خلقي، وهذا فيه التعليل لإفراد الله بالعبادة، فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون}: والكـلمة الباقـية هي كلمة لا إله إلا الله بإجماع المفسرين، ففسر النفي في لا: بالبراءة، والإله: بالمعبود، والله: بتفسير اللازم أنه الخالق سبحانه الذي فطر سائر المخلوقات، ومن الأدلة أيضًا: وقوله: { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون}: والكلمة السواء هي كلمة العدل والإنصاف، التي لا يختلف فيها رسول ولا كتاب، والتي يستوي في فرضية الإيمان بها الجميع؛ وهي كلمة لا إله إلا الله، وعبرت الآية عنها ألا نعبد إلا الله؛ فيكون معنى الإله المعبود، وأما تقدير الخبر المحذوف في لا إله.. إلا الله بقولنا: بحق، فدلت عليه أدلة كثيرة، منها قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} سورة الحـج(62)، فأخبر عن نفسه سبحانه أنه المعبود الحق، وأخبر عن سائر المعبودات أنها المعبودات الباطلة، ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله قوله تعالى: { لقد جاءكم رسول من أنفسكم: أي من جنسكم، وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أي من أشرفكم، عزيزٌ عليه ما عنتم: أي يشق عليه ما يشق عليكم، حريصٌ عليكم: يعني على هدايتكم، وإنقاذكم من النار، بالمؤمنين رؤوف رحيم }: فوصفته الآية أنه من العرب ومن أشرفها نسبًا، وهو رفيقٌ بالمؤمنين، حريصٌ على إيصال الخير لهم، يتصف بالرحمة والرأفة، وليس إلا محمد ، ومن الأدلة العقلية على أن محمدًا رسول من عند الله: أن الله من حكمته ألا يترك الناس هملاً بلا رسول ولا كتاب، قال تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ } سورة الأنعام(91)، وقد عُلم من صفات النبي ، وما أعطاه الله من الآيات الشرعية؛ كالقرآن الكريم

المعجز، والآيات الحسية؛ كانشقاق القمر وحنين الجذع ونبع الماء بين أصابعه، ومن الإخبار عن المغيبات، مع كونه لا يخط ولا يقرأ الخط المكتوب، وشهادة الله تعالى له بالرسالة وشهادة أهل الكتاب له، {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} سورة الرعد(43)، وتمكين الله له ونصره على عدوه ونشر دينه، مع أن المعلوم أن سنة الله جرت فيمن ادعى النبوة كذبًا ألا يمُكّن له أمره، قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} سورة الحاقة (44-46)، فكل هذه الأدلة العقلية والحسية دلت على نبوة محمد وإرسـاله للناس ، ومعنى شهـادة أن محـمدًا رسول الله: الإقرار والإيمان بأن محمدًا بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله عز وجل إلى جميع الخلق من الجن والإنس، وهذا يقتضي أربعة أمور: الأول: طاعته فيما أمر: سواء علمنا حكمته أم لم نعلم، فموقف المؤمن من الأوامر الطاعة والتنفيذ بحسب الاستطاعة، وطاعة النبي على قسمين: طاعة تحفظ للعبد أصل إيمانه؛ كطاعته في توحيد الله وأداء الصلاة، وطاعة زائدة على ذلك؛ كطاعته في الواجبات والمستحبات، والثاني: وتصديقه فيما أخبر: سواء أعلمنا حقيقة معناه أم لم نعلم، فموقف المؤمن من الأخبار التصديق والإيمان، وأخباره على قسمين: أخبار متواترة مستفيضة يكفر مكذبها، وأخبار خفية دقيقة لم تتواتر ولم تستفيض لا يكفر مكذبها بل يُعرف بها، والثالث: واجتناب ما نهى عنه وزجر: فموقف المؤمن من المناهي والزواجر (الكبائر) الاجتناب والبعد، وترك النواهي على قسمين: قسمٌ يحفظ أصل الإيمان؛ كترك الشرك والسحر، وقسمٌ يُوقع العبد في الإثم وخلاف الأولى ولا يكفر بفعله، والرابع: وأن لا يعبد الله إلا بما شرع: فموقف المؤمن من العبادات التوقف عند ما شرعه النبي دون زيادة أو إحداث، والبدع على قسمين: بدع تفسد أصل الإيمان؛ وهي البدع المكفرة، وبدع دون ذلك، وهي البدع المفسقة، ودليل هذه الأمور الأربعة قوله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} سورة الحشر(7)، ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة }: أي دين الملة القويمة المستقيمة، وقد فسرت الآية التوحيد: بعبادة الله، وإخلاص الدين له، والميل عن الشرك وأهله إلى الحق وأهله، ودليل الصيام قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون }: أي تتقون الشرك والبدع والمعاصي وسيىء الأخلاق، ودليل الحج قوله تعالى: { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين }: فجعل تعالى ترك الحج كفرًا أي كفرًا أصغر، وليعلم أن فعل الطاعات من لوازم التوحيد، وتركها من نواقص التوحيد.

المرتبة الثانية: الإيمان: والإيمان في اللغة: الإقرار، مأخوذ من الأمن، فهو من الأمور الباطنة التي يؤتمن عليها، والإيمان عند أهل السنة والجماعة: قول



باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وهو بضع وسبعون شعبة: البضع من ثلاثة إلى تسعة، والشعبة هي الطائفة من الشيء والقطعة منه، فأعلاها قول لا إله إلا الله: أي يقولها ملتزمًا بما دلت عليه، وهذا مثال للإيمان الذي يكون قولاً باللسان، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق: أي إزالته، وهذا مثال للإيمان الذي يكون فعلاً بالجوارح، والحياء شعبة من الإيمان: الحياء عمل قلبي يحمل المرء على فعل ما يجمل ويزين، ويمنعه من فعل ما يدنس ويشين، وهذا مثال للإيمان الذي يكون اعتقادًا وعملاً بالقلب، وهذا من باب التمثيل، وإلا فكل خصلة من خصال الخير هي من شعب الإيمان، وأركانه ستة: سبق أنها بالمعنى العام بضع وسبعون شعبة، وبالمعنى الخاص (أي إذا اقترن الإيمان بالإسلام) فهي ستة أركان، يبطل الإيمان إذا بطل أي ركن منها، الأول: أن تؤمن بالله: والإيمان بالله على قسمين: إيمان مجمل وإيمان مفصل، فمن أنكر الإيمان المجمل كفر، وأما الإيمان المفصل فإنما يكون بحسب العلم، ومن أنكر الإيمان المفصل عُرف بالنصوص الشرعية؛ والإيمان المجمل بالله: يتحقق بالإيمان بأربعة أشياء: الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان المفصل هو الإيمان بكل ما جاء في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة من الخبر عن الله تعالى والعمل بما تقتضيه هذه الأخبار، ومن ثمرات الإيمان بالله: تحقيق توحيد الله، وكمال محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه وصفاته، وتحقيق عبادته بفعل ما أمر وترك ما نهى، والركن الثاني: وملائكته: والملائكة جنس من الخلق مكرّمون، خلقهم الله من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والإيمان بالملائكة على قسمين: إيمان مجمل، وهو الإيمان بوجودهم وأنهم خلقٌ خلقهم الله وسخرهم فيما يشاء، وإيمان مفصل وهو الإيمان بكل ما جاء في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة من الخبر عن ملائكة الله؛ عن أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم وعدد من ذكر منهم، والعمل بما تقتضيه هذه الأخبار، ومن ثمرات الإيمان بالملائكة: العلم بعظمة الله تعالى، ومحبة الملائكة لشرف عبادتهم وطاعتهم لربهم، والركن الثالث: وكتبه: والإيمان بالكتب على قسمين: إيمان مجمل: وهو الإيمان بأن الله تعالى أنزل على رسله كتبًا أحكامها الحق وأخبارها الصدق، وإيمان مفصل وهو الإيمان بكل ما جاء في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة من الخبر عن كتب الله وأسمائها وما صح من أخبارها والعمل بما لم ينسخ من أحكامها؛ وهي أحكام القرآن الكريم، فهو خاتمتها والمهيمن عليها الناسخ لما سبق، ومن ثمرات الإيمان بكتب الله: العلم بواسع رحمة الله في إنزاله هذه الكتب على رسله ليعلموها عباده، والعلم بعظيم حكمة الله في شرائعه حيث شرّع لكل قومٍ ما يناسبهم، والركن الرابع: ورسله: والإيمان بالرسل على قسمين: إيمان مجملٌ: وهو الإيمان بأن الله أرسل رسلاً صادقين يدعون الناس لعبادة الله وحده؛ فأدوا الأمانة وبلغوا الدين، وإيمان مفصل وهو الإيمان بكل ما جاء في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة من الخبر عن رسل الله تعالى وعن أسمائهم وبراهينهم ومراتبهم

وقصصهم مع أقوامهم، والعمل بما تقتضيه هذه الأخبار من اقتداء بهم وعملاً بهدي خاتمهم وسيدهم محمد ، ومن ثمرات الإيمان بالرسل: العلم برحمة الله بالناس إذ بعث فيهم رسلاً منهم يعلمونهم دينهم، ومحبة الرسل والثناء عليهم والاقتداء بهم، والركن الخامس: واليوم الآخر: اليوم الآخر هو كل ما يكون بعد الموت، والإيمان باليوم الآخر على قسمين: إيمان مجمل: وهو الإيمان بأن الناس بعد موتهم يبعثون ويحاسبون على أعمالهم، وإيمان مفصل وهو الإيمان بكل ما جاء في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة من الخبر عما يكون بعد الموت: من الحياة البرزخية؛ كفتنة القبر وعذابه أو نعيمه، والحياة في المحشر وما يكون في عرصات يوم القيامة؛ كالحوض والحساب والموازيين والشفاعة والصراط، والحياة في دار الجزاء إما الجنة وإما النار، وأضاف بعض أهل العلم رابعًا وهو الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها، والعمل بما تقتضيه هذه الأخبار، ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر: الرغبة في طاعة الله والرهبة من معصيته، وتسلية المؤمن عما يفوته من أمر الدنيا الزائلة، والركن السادس: وتؤمن بالقدر خيره وشره: القدر: هو حكم الله الكوني، والإيمان بالقدر على قسمين: إيمان مجمل: وهو الإيمان بأن كل ما يقع قد علمه الله وخلقه وقدره ولا يخرج شيء عن تقدير الله تعالى ومشيئته، وإيمان مفصل: وهو الإيمان بكل ما جاء في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة من الخبر عن مراتب القدر الأربعة: علم الله المحيط، وكتابته السابقة، ومشيئته النافذة، وقدرته الشاملة، والعمل بما تقتضيه هذه الأخبار، ومن ثمرات الإيمان بالقدر: تفويض الأمور إلى الله وعدم الركون للأسباب، والرضا بما قد يصيب العبد من أقدار الله؛ فيطمئن أنها ما حدثت إلا لحكم عظيمة أرادها الله سبحانه، والدليل على هذه الأركان الستة: من القرآن الكريم، وستأتي أدلتها من السنة: قوله تعالى: { ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين }، ودليل القدر قوله تعالى: { إنا كل شئ خلقناه بقدر }: أي كل ما خلقناه فهو مقدور لله مكتوب في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: من مراتب الدين: الإحسان، والإحسان لغة: الإتقان والإجادة، واصطلاحًا له معنيان: المعنى العام يشمل الإحسان في عبادة الخالق والإحسان في حقوق الخلق، والمعنى الخاص للإحسان يُعرف بمعرفة ركنه، فهو ركن واحد وهو: أن تعبد الله كأنك تراه: هذه هي المرتبة الأولى: وهي مرتبة الاستحضار، وهي أعلى من التي تليها، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : وهذه هي المرتبة الثانية: وهي مرتبة الإطلاع، والدليل قوله تعالى: { إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون }، فعلق الله على هذه المرتبة معـيته، وهي معية كفاية وهداية وتسديد، وهذه الآية دليل على المرتبة الأولى من مرتبتي الإحسان: أن يستحضر معية الله له، وقوله: { وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم }؛ فأمر تعالى رسوله بما يحقق به مرتبة الإحسان، وقوله: { وما تكون في شأن: فتعم جميع الأحوال، وما تتلو منه من قرآن: فتعم جميع



الأقوال، ولا تعملون من عمل: فتعم جميع الأعمال، إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه: أي تأخذون في ذلك الشيء.. الآية }: وفي هذه الآية والتي قبلها دليل المرتبة الثانية من مرتبتي الإحسان: أن يستحضر مراقبة الله له، والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه: وعند النسائي بلفظ قال: "ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ"، ووضع كفيه على فخذيه: وهذا فيه بيان لأدب طالب العلم مع العلم، وقيل: أراد بذلك تعمية أمره عليهم، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال: أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. فقال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه: وهذا فيه دليل على مرتبة الإسلام وأركانها الخمسة، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت: وهذا فيه دليل على مرتبة الإيمان وأركانها الستة، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك: وهذا فيه دليل على مرتبة الإحسان وركنها واحد، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل: وفيه أن العبد يجب عليه أن يسأل عن الأمور التي ينبني عليها عمله ويكون عليها حسابه وجزاؤه، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها: قيل: فيه إشارة إلى اتساع رقعة الإسلام، وقيل: غلبة الجهل، وقيل: كثرة السبي، وقيل: كثرة العقوق، والله أعلم، وأن ترى الحفاة العراة العالة: أي الفقراء، رعاء الشاة يتطاولون في البنيان: وفيه انقلاب الحقائق قبل قيام الساعة وانعكاس الأمور، قال: فمضى، فلبثنا مليًا. فقال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم): ومنه نعلم عظم هذا الحديث وما اشتمل عليه من أصول الدين والعقائد، وأهمية معرفة مراتب الدين وأركانها، قال القرطبي وابن دقيق العيد رحمهما الله: هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة لما تضمنه من جمل علم السنة، كما أن الفاتحة تسمى بأم الكتاب؛ لما حوت من مقاصد أحكام القرآن الكريم.

الأصـــل الثـالث

معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم: هذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يسأل عنها العبد في قبره، قال ﷺ في حديث سؤال الملكين:" فينـتهره فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ ما نبيك؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا)، فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ"، ومعرفة النبي ﷺ الواجبة تشمل معرفة ما يسأل عنه العبد في قبره؛ حين يقال له: "ما



هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول:" قرأت كتاب الله؛ فآمنت به وصدقت"، رواه أحمد وأبو داود، وفي رواية في الصحيحين:" فأما المؤمن أو الموقن فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى؛ فأجبنا وآمنا واتبعنا، هو محمد ثلاثًا"، وقد ذكر المصنف رحمه الله تعالى في بيان معرفة النبي تسع مسائل:

المسألة الأولى: اسمه ونسبه: وهو محمد: قال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ} سورة الفتح(29)، وقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ} سورة آل عمران(144)، بن عبد الله: هو الذبيح الثاني المفدى بمائة من الإبل، بن عبدالمطلب: ويقال له شيبة الحمد لجوده وجماع أمر قريش إليه، بن هاشم: واسمه عمرو؛ وسمي هاشمًا لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سني المحل، وهاشم من قريش: واسم قريش النضر بن كنانة جد فهر بن مالك على الصواب؛ لحديث الأشعث بن قيس عند أحمد وابن ماجه قال :" نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا"، وإليه جماع قريش، وقريش من العرب: أي من العرب المستعربة وهم نسل عدنان، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: وقد قال :"إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"، رواه مسلم، وفي رواية للترمذي:" إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل"، والمسألة الثانية: عمره ومراحل حياته: وله من العمر ثلاث وستون سنة؛ منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًا رسولًا: النبي رجل من بني آدم من أهل القرى (أي المدن) أوحى الله إليه، وكذلك الرسول، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى} سورة يوسف(109)، لكن النبي جاء بشريعة موافقة للرسول قبله، والرسول يأتي بشرع جديد، والمسألة الثالثة: معرفة ما نبئ به وما أرسل به: نبئ: في رمضان بغار حراء، باقرأ: أي بصدر سورة اقرأ، وهو قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّشئمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} سورة العلق (1-5)، وأرسل بالمدثر: أي بصدر سورة المدثر، وهو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} سورة المدثر (1-7)، والمسألة الرابعة: معرفة بلده ومهاجره: وبلده مكة: ولد فيها وبعث فيها، فلما آذاه قومه هاجر منها، وهاجر إلى المدينة: وفيها قامت دولة الإسلام وبُني مسجد النبي ، وانطلقت الغزوات والسرايا، وتوفي ودفن فيها ، والمسألة الخامسة: معرفة الغاية من بعثته: بعثه الله بالنذارة عن الشرك: قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد 1/84 عند الكلام على مراتب الدعوة: المرتبة الأولى: النبوة، الثانية: إنذار عشيرته الأقربين، الثالثة: إنذار قومه، الرابعة: إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله؛ وهم العرب قاطبة،



الخامسة: إنذار جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر، ويدعو إلى التوحيد: قال عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه: فقلت له: ما أنت؟ قال: "أنا نبي"، فقلت: وما نبي؟ قال: "أرسلني الله"، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال:" أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء"، رواه مسلم؛ ولذلك تميزت هذه الشريعة بأنها سدت كل الطرق الموصلة إلى الشرك القريبة والبعيدة، والدليل قوله تعالى: { يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر }: وقد شرحها المصنف رحمه الله فأوجز وأبلغ، ومعنى { قم فأنذر } ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ، { وربك فكبر } أي عظمة بالتوحيد ، {وثيابك فطهر } أي طهر أعمالك عن الشرك ، { والرجز فاهجر } الرجز الأصنام ، وهجرها تركها والبراءة منها وأهلها: وهجر الأصنام كالكفر بها؛ يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، والمسألة السادسة: معرفة شيء من سيرته: أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد: وفي هذه السنين العشر لم يُفرض من أركان الإسلام الخمسة إلا التوحيد، وفي ذلك أكبر دلالة على أهمية تعلم التوحيد والعمل به والدعوة إليه والصبر على ذلك، وبعد العشر عرج به إلى السماء: بجسده وروحه جميعًا يقظة لا منامًا، وفرضت عليه الصلوات الخمس: خمسٌ في العمل خمسون في الأجر، وصلى في مكة ثلاث سنين: وفي هذا بيان لأهمية الصلاة وعظم قدرها، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة: أي في السنة الثالثة عشرة للبعثة، ثم استطرد المصنف رحمه الله ليذكر حكم الهجرة، والهجرة في اللغة من الهجر وهو الترك والمفارقة، ولها معنيان: معنى عام: وهي ترك كل ما نهى الله عنه إلى ما أمر الله به، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال النبي ﷺ:" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"، رواه البخاري، والهجرة قد تكون هجرة مكان أو هجرة عمل أو هجرة عامل، وبالمعنى الخاص: والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام: وقد مرت الهجرة بثلاث مراحل: المرحلة الأولى كانت الهجرة من بلد الخوف إلى بلد الأمن، وهي الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة، والمرحلة الثانية كانت الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي الهجرة إلى المدينة، والمرحلة الثالثة: تشريع حكم الهجرة إلى قيام الساعة حيثما غلب الخوف أو الشرك أو البدع، وإنما يعرف بلد الإسلام بظهور وغلبة شعائر الإسلام لقوة أهله، وقوة الإسلام قد تكون بقوة السلطان أو بقوة الرعية، ويعرف بلد الشرك بمنع شعائر الإسلام الظاهرة؛ كالأذان أو صلاة الجماعة والجمعة، وكذلك إذا أقيمت هذه الشعائر لا لقوة المسلمين بل لإذن الكفار؛ كحال الأقليات المسلمة في بعض بلاد الكفر، وحكم الهجرة، ما بيّنه بقوله: والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام: قال شيخ الإسلام رحمه الله: "لا يسلم أحد من الشرك إلا بالمباينة لأهله"، وفي



الحديث:"من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله" ، روه أبو داود عن سمرة رضي الله عنه، وعنـده عن جرير رضي الله عنه:" أنا بريءٌ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين"، قالوا يا رسول الله:ولم؟ قال:" لا تراءى نارهما"، وقد نقل الإجماع على وجوب الهجرة القرطبي في تفسيره وغيره من أهل العلم، ويتحقق الوجوب بشرطين: أن تكون البلد بلد شرك، وأن يمنع المسلم فيها من إقامة شعائر الإسلام الظاهرة، وهى باقية إلى أن تقوم الساعة: وسيذكر المصنف الدليل على ذلك من السنة، والدليل: أي على كونها فريضة، قوله تعالى: { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم: أي بترك الهجرة مع قدرتهم عليها وعدم تمكنهم من إقامة شرائع الدين، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض: يريدون كنا أقلة أذلة في بلاد الكفر ليس لنا أمر، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا: هذا حكم الله فيهم، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان: أي المعذورين، وهم الذين: لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلا: لا يستطيعون حيلة يتخلصون بها من تسلط الكفار، ولا يهتدون سبيلاً يصلون به إلى المسلمين، فاجتمع فيهم شرطان: الأول: لا يجدون قوة مادية ولا مالية للهجرة، والثاني: لا يعرفون طريق الهجرة بأنفسهم ولا يجدون من يدلهم ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم: قال ابن عباس رضي الله عنهما: عسى من الله واجبة، وكان الله عفوًا غفورًا }، وقوله تعالى: { يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون }: ووجه الدلالة من هذه الآية ما نقله المصنف عن البغوي رحمه الله، قال البغوي رحمه الله تعالى: هو محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي، صاحب التفسير وشرح السنة (435-516هـ)، (سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان): وهذا ملخص ما حكاه البغوي رحمه الله عند تفسير هذه الآية؛ فيكون من حكاية المعنى لا اللفظ، وفي الآيات التي ذكرها المصنف دلالتان: الأولى أنهم تركوا أمرًا واجبًا استحقوا عليه إثمًا وعقابًا كما في الآية الأولى، والدلالة الثانية: أنهم لم يخرجوا بذلك عن الإسلام، بل ناداهم الله بنداء الإيمان، كما في الآية الثانية، والدليل على الهجرة من السنة: أي لكونها لا تنقطع إلى قيام الساعة، قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها): ومعنى انقطاع التوبة: عدم قبولها، وهذا دليل على أن الهجرة باقية إلى قيام الساعة، وأما حديث عائشة رضي الله عنها:" لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"، رواه مسلم؛ أي لا هجرة من مكة بعد أن أصبحت دار إسلام، ولكن لأهلها أن يجاهدوا لينصروا دين الله، مع بقاء حكم الهجرة على من كان في بلد كفر، ثم عاد المصنف رحمه الله لبيان طرفٍ من سيرة النبي ﷺ؛ فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام: في قوله: (أمر) احتمالان: أن تُبنى على



المعلوم؛ فيكون الآمر هو النبي ، أو تُبنى على ما لم يذكر فاعله؛ فيكون الآمر هو الله تعالى، مثل الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين: ولم يترك أثناء هذه السنين تأكيده على مسائل التوحيد ونهيه عن الشرك؛ بل حتى قبل وفاته، قالت عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لما نزل برسول الله - أي الموت- طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، متفق عليه، والمسألة السابعة: معرفة وفاته : وبعدها توفـي صلوات الله وسلامه عليه: سنة إحدى عشرة للهجرة، وقد دل على وفاته كتاب الله تعالى، وسيذكر المصنف رحمه الله الدليل على ذلك، وهو حي في قبره حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء، وأما الحياة الجثمانية فلا ريب أنه مات ، والمسألة الثامنة: معرفة دينه ورسالته: وفيها ثلاثة أمور: **الأول:** بقاء دينه: ودينه باق: وبقاء الدين ببقاء أمرين: بقاء أصليّه؛ وهما الكتاب والسنة، وبقاء المستمسكين به؛ وهم أهل الإسلام الفرقة الناجية إلى قيام الساعة، وهذا دينه: وهذا دينه محفوظ باقٍ عندنا، قال السلف: هذا عهد رسول الله إلينا ونحن عهدناه إليكم، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا، وهي وصيته وفرضه عليكم، لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه؛ فلا يأتي دين محمد إلا بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد، قال تعالى: {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ} سورة الأعراف(157)، وعند الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله قال:" ليس من عملٍ يُقرب من الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا عمل يُقرب من النار إلا وقد نهيتكم عنه"، وفي الحديث الصحيح:" إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم"، وقد فسّر المصنف ما دعا إليه النبي بقوله: والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه ، وفسّر ما حذر منه بقوله: والشر الذي حذر منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه، **والأمر الثاني:** عموم رسالته: بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس: وهذه من خصائص النبي ، ومما يتميز به عن سائر الأنبياء، قال :" وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة"، متفق عليه عن جابر رضي الله عنه، وعند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"، وقد دل القرآن كذلك على عموم رسالته، والدليل قوله تعالى: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا }، **والأمر الثالث:** إكمال شريعته وختمها لسائر الأديان: وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الإسلام دينًا }، وقد مات النبي ﷺ وانقطعت الرسالة وبقيت رسالته خالدة، والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: { إنك ميتٌ وإنهم ميتون۝ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون}: إلى فريقين؛ فمن اتبع النبي ﷺ دخل الجنة ومن أبى دخل النار، ثم استطرد المصنف رحمه الله تعالى ليذكر ما يتعلق بعقيدة الإيمان بالبعث، وذلك لكثرة من أنكر البعث من البدو في عصره رحمه الله، والناس إذا ماتوا يبعثون: والبعث في اللغة: الإثارة والتحريك والإرسال، واصطلاحًا: إعادة الأرواح إلى الأجساد بعد النفخة الثالثة، والدليل قوله تعالى: {منها خلقناكم: أي من الأرض خُلق أبوكم آدم، وفيها نعيدكم: أي وفيها تدفنون وتقبرون، ومنها نخرجكم تارة أخرى }: أي ومنها تبعثون وتحيون يوم القيامة، وقوله تعالى: {والله أنبتكم من الأرض نباتًا: أي خلق أباكم آدم من تراب الأرض، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجًا }، ومن السنة ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ:" قال الله تعالى: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني؛ أما شتمه إياي فقوله إن لي ولدًا، وأنا الله الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته"، ومن الأدلة العقلية على بعث الموتى يوم القيامة: أن الله القادر على ابتداء الخلق لا يَعجز سبحانه عن إعادته، {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} سورة الروم (27)، وما نشاهده من إحياء الأرض بعد موتها بكل زوج بهيج دليل على إحياء من في بطنها من الأموات، {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} سورة فصلت(39)، والذي خلَق السموات بأجرامها والأرض بجبالها وبحارها قادر على أن يعيد خلق هذا الإنسان، {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} سورة الأحقاف(33)، ومن الأدلة أيضًا الأمثلة الحسية: مما رآه بعض الأقوام من إحياء الله تعالى بعض الأموات كما في سورة البقرة، ومن أدلة ذلك أيضًا: حكمة الله العظيمة التي اقتضت ألا يخلق الخلق ويرسل لهم الرسل ويأمر بالجهاد والهجرة، ثم لا يكون بعد ذلك ثواب لأوليائه ولا عقاب لأعدائه، ألم يقل الله تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} سورة المؤمنون(115)، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم: الحساب في اللغة: ما يكون فيه عدّ، والحساب يوم القيامة على صورتين: الأولى حساب المؤمن: وهو العرض والتقرير؛ فتعرض على المؤمن ذنوبه ثم يغفرها الله له، والثانية حساب الكافر: وهو الحساب العسير؛ وهو حساب تقريع وتوبيخ، لا أن الكافر توزن سيئاته وحسناته؛ إذ لا حسنات للكفار، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:" من حوسب يوم القيامة عُذب"، قالت عائشة: أو ليس يقول الله:{فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا}؟ قال:" ليس ذلك بالحساب، إنما ذلك

العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك"، متفق عليه، والدليل قوله تعالى: { ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى }: فيعامل المؤمن بعفوه ورحمته، ويعامل الكافر بعدله وحكمته، ومن كذب بالبعث كفر: لأنه أنكر ركنًا من أركان الإيمان الستة، وكذب بالنصوص المتواترة والإجماع، والدليل قوله تعالى: {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير }، وبعد هذا الاستطراد المهم في المسائل التي تعلقت بالهجرة والبعث والحساب، ذكر المصنف رحمه الله المسألة التاسعة فيما يتعلق بالأصل الثالث: الحكمة من إرسال الرسل: وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين: هذه **الحكمة الأولى** من إرسال الرسل: بشارة المؤمنين بنعيم الله ونذارة وتخويف العاصين من عذاب الله، **والحكمة الثانية**: إقامة الحجة على الناس بدلالتهم على ربهم وتعليمهم أمور دينهم، والدليل قوله تعالى: {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}، وقد كان الناس على التوحيد، قال ابن عباس رضي الله عنه: " كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"، وأول من ظهر فيهم الشرك قوم نوح لما غلوا في الصالحين، فأرسل الله أول رسله، وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: { إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده }: وقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} سورة الحديد(26)، ولا تكون النبوة في ذريته إلا إذا كانت من بعده، والدليل من السنة ما جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في حال الناس يوم القيامة، وفيه: "ويقول- أي آدم- ولكن ائتوا نوحًا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض" ، **والحكمة الثالثة** من إرسال الرسل عليهم السلام: الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك: وكل أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد؛ يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت ، والدليل قوله تعالى: { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، وكل رسول قال لقومه: {يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} سورة الأعراف(59)، وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله: وهو معنى كلمة التوحيد والقول الثابت والكلمة الباقية والعروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلا الله، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هو شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، (691- 751هـ)، والعبارة نص كلامه في كتابه أعلام الموقعين 1/50، (الطاغوت: الطاغوت في اللغة مشتق من الطغيان، يقال طغى الماء إذا تجاوز حده، وأجمع ما عُرف به اصطلاحًا: ما نقله المصنف عن الإمام ابن القيم رحمه الله: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع): فالرب سبحانه هو المستحق أن يعبد ويتبع أمره

ويطاع حكمه، فكل ما تجاوز به العبد الحد كان طاغوتًا، وأقسامه تنحصر في ثلاثة: الطاغوت المعبود بأي نوع من أنواع العبادة، ويشمل من عُبد من دون الله وهو راضٍ، ومن دعا إلى عبادة نفسه، والطاغوت المتبوع في غير طاعة الله، ويشملً علماء السوء والعباد المنحرفين، والطاغوت المطاع في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، ويشمل الأمراء الجائرين والكهان والسحرة ومن حكم بغير ما أنزل الله، والطواغيت كثيرة: اسم الطاغوت يطلق على كل مجاوزة للشرع ولو لم تكن كفراً، فالطواغيت قسمان: طاغوت أكبر؛ وهو من تجاوز الحد حتى كفر بالله، وطاغوت أصغر، وهو من تجاوز الحد، لكنه لم يصل لحد الكفر بالله، ورؤوسهم: أي كبراءهم، خمسة: بدليل الاستقراء، إبليس: وهو رئيس الشياطين الذي أبى السجود لآدم، وهو طاغوت معبود، قال تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} سورة يــس(60)، وطاغوت متبوع مطاع، قال تعالى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي} سورة إبراهيم(22)، لعنه الله: اللعن هو الطرد من رحمة الله، واللعن على قسمين: لعن أكبر وهو الطرد الكلي من رحمة الله؛ كطرد إبليس والمشركين، ولعن أصغر وهو الطرد الجزئي من رحمة الله؛ كلعن بعض عصاة المسلمين، والرأس الثاني من رؤوس الطواغيت: ومن عُبد وهو راض: سواء عُبد في حياته أو بعد مماته، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: "يحشر الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه؛ فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت"، والثالث: ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه: كفرعون، سواء عُبد أم لم يعبد، والرابع: ومن ادعى شيئًا من علم الغيب: كالعرافين والكهنة، والغيب هو كل ما غاب عنا ولم نستطع إدراكه، والغيب ينقسم إلى قسمين: غيب نسبي، وهو كل غيب ماض علمه من حضره وغاب عمن لم يطلع عليه، وغيب مطلق، لا يعلمه إلا الله، وهو كل غيب مستقبل لم يجعل الله تعالى لمعرفته أسبابًا، وادعاء معرفة الغيب المطلق كفر مطلقًا، قال تعالى: {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} سورة النمل(65)، والخامس: ومن حكم بغير ما أنزل الله: والحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين: إن زعم الحاكم بغير ما أنزل الله أن حكمه أحسن من حكم الله أو مثل حكم الله أو يجوز الحكم به فهو كافر, قال تعـالى: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)، سورة المائدة (44)، وإن حكم بغير حكم الله مع اعتقاده عدم جواز الحكم به فهو فاسق، قال تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} سورة المائدة(47)، وإن وضع قانونـًا يضاد حكم الله، فقيل: من القسم الأول، وقيل: من القسم الثاني، والله أعلم، والدليل: على وجوب الكفر بالطاغوت



من أي الأنواع كان، قوله تعالى: { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى }: أي القوية التي لا تنفك والمحكمة التي لا تنفصم، وفسّرها سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم: بلا إله إلا الله؛ وهذا معنى لا اله إلا الله: فالنفي في قولنا: لا إله كفر بالطواغيت؛ إذ الإله هو المعبود المطاع، والإثبات في قولنا: إلا الله: هو الإيمان بعبادة الله وحده، وفي الحديث: رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، (رأس الأمر الإسلام: أي الدخول في الإسلام بالالتزام بعبادة الله وحده؛ كما جاء في بعض الروايات: رأس الأمر الشهادتان، وفي رواية: لا إله إلا الله، قال العلامة ابن باز رحمه الله تعالى في شرحه: يعني رأس الدين هو الإسلام؛ يعني شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله؛ فمن التزم بها دخل الإسلام، وعموده الصلاة: فينقض دينه إذا ترك الصلاة، وذروة سنامه: سنام البعير أعلاه، وذروة سنامه أرفع ما يكون منه: الجهاد في سبيل الله): أي أن عزه وظهوره ورفعته في الجهاد في سبيل الله: جهاد الحجة والبيان، وجهاد السلاح والسنان؛ فعلمنا من ذلك أن الإسلام يثبت بالشهادتين، ويقوم بالصلاة، ويحفظ بالجهاد.

تم إملاء هذه الحاشية ليلة الأربعاء السادس من شهر ذي القعدة 1418هـ بصنعاء،
ثم هذبته وأضفت إليه في مجالس متفرقة،
ويليه شرح كتاب التوحيد إن شاء الله،
ولله اسأل القبول والسداد،
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الفهرس